

دور الجماعات الدينية الحربية في حركة الاسترداد البرتغالية

The rôle of the military religious in the reconquista of Portugal

كرنيف نرجس

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

Kernifnardjes87@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/ 5/ 20.... تاريخ القبول: 2021/10/06

الملخص:

لعب الجانب الديني دورا بارزا في الحركة الاستردادية التي عرفتھا الأندلس انطلاقا من القرن 12م، فقد كانت البابوية تشجع السلطة السياسية على التوسع على بلاد المسلمين معتمدة على عدة وسائل، ومن أهمها الدعم المطلق لإنشاء الجماعات الدينية العسكرية، والتي ساهمت بشكل فعال في توسيع السيطرة المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية عامة والبرتغال بصفة خاصة، تلك المنطقة التي استطاعت في وقت قصير أن تبسط نفوذها على كامل الغرب الأندلسي وذلك بفضل الدعم البابوي لها وهذا ماسنوضحه في هذه الورقة البحثية .

كلمات دالة : البرتغال، الجماعات ، الدينية ، العسكرية ، الاسترداد

Abstract: (not more than 10 Lines)

Enter your abstract here (an abstract Summary :

The religious si deplayed a prominent role in the recovery movement that Andalusia knew from the 12th century CE, as the papacy was encouraging political power to expand over Muslim countries relying on several means, the most important of which was the absolute support for the establishment of religious military groups, which effectively contributed to the expansion of Christian control in the Iberian Peninsula in general and Portugal in particular, that region which was able to extend its influence over the entire Andalusian West in a very short time

Key words: Portugal , religious, groups ,military , reconquista

*كرنيف نرجس

1 . مقدمة:

لطالما قرأنا في التاريخ عن الجماعات الدينية العسكرية التي ظهرت بالشرق ، والتي كان لها دور فعال في الصراع الصليبي _ الإسلامي بالمنطقة ، ومن أبرزها (الداوية والاسبترارية)¹، لكن تلك الجماعات لم يقتصر ظهورها على المشرق فقط ، وإنما امتد صداها إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، فراحت الممالك المسيحية تستعين بأفراد من هؤلاء في حركاتها الاستردادية ضد المسلمين، ولم يكتف ملوك النصارى بذلك بل أصبحوا يتنافسون في إنشاء جماعات دينية عسكرية محلية تساعد في التوسع أكثر على حساب المسلمين .

ومن بينهم مملكة البرتغال التي تمكنت خلال قرن واحد من ظهورها كمملكة مستقلة أن تنهي الحكم الإسلامي في الغرب الأندلسي وتوسع رقعتها الجغرافية لتصل خلال منتصف القرن 13 م إلى أقصى اتساع لها ، وعلى ذلك الأساس نتساءل:

كيف ظهرت تلك الجماعات في شبه الجزيرة الأيبيرية عامة والبرتغال بصفة خاصة ؟ ماهي أهم تلك الجماعات ؟ وما هو الدور الذي قامت به في الحركة الاستردادية البرتغالية؟

2 . نشأة الجماعات الدينية العسكرية في شبه الجزيرة الأيبيرية :

قبل التحدّث عن الجماعات الديّنية في البرتغال، يجب أولاً التطرّق إلى كيفية ظهورها في شبه الجزيرة الإيبيرية.

¹ - الداوية: تأسست بعد استقرار الصليبيين ببلاد الشام لحماية معبد سليمان وطريق الحجاج، وقد ساهم في تأسيسها كلّ من: هيودي باين Hugo de Payns وجوفري دو سانت أومر Geofforey de St. Omar وساعدهم مجموعة من الفلمنك والفرنسيين بعد حصولهم على تصريح من بطريك بيت المقدس والملك بلدوين II 1118م/512هـ بإنشائها ؛ انظر: محمد محمود النشار، 2003 ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، مصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ص. 48 .

-الاسبترارية: تعود نشأتها عندما قام تجار إيطاليون من مدينة أمالفي بتأسيس جمعية خيرية تشرف على أحد المستشفيات قرب كنيسة بيت المقدس مهمتها الاعتناء بالمرضى الحجاج لبيت المقدس، وعمل بها كذلك الرهبان وعلى رأسهم الزاهد جيرار الملقب بحامي فقراء المسيح، وأطلق عليها فيما بعد اسم "فرسان المستشفى" « Hospitaller » وعُرفت بالعربية "الاسبترارية"، ثم التحقت بالنظام البندكتي وصاروا يتبعون البابا في روما ؛ انظر لمزيد من التفاصيل: جوناتانرايلي سميث ، 1989 م ، الاسبترارية (فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، 1050م-1310م)، ترجمة: العميد الركن صبحي الجابي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص. 40 - 45

تعود بدايات تشكّل هذه الفرق إلى القرن 12م/6هـ²، وذلك نظرا للتطوّرات الكبيرة التي عرفتھا المنطقة سياسيا وعسكريا، واشتداد الصّراع بين المسلمين والمسيحيين، إضافة إلى اختلال التّوازن العسكري بين الطّرفين عمّا كان عليه سابقا، فأصبحت الممالك المسيحية تنافس المسلمين وتتوسّع على أراضيهم بعد الضعف الذي أصابهم، وقد ساهمت عدّة عوامل في تعميق ذلك التّنافس والقضاء على التّواجد الإسلامي في المنطقة، ومن ابرز تلك العوامل الحركات الدّيرية التي عملت على نشر الحماس الدّينيّ ودعم الحركات الصّليبية ضدّ مسلمي الأندلس.³

ومن بين تلك الأديرة نذكر: الأديرة الكلونية التي شجّعت الأهالي في جنوب فرنسا على الانضمام للحملات الصّليبية في الأندلس، وكذلك عملت تلك المنظّمات الدّينية على مساندة الأديرة في نشر الحماس الدّيني، ومنها على سبيل المثال نذكر: حركة المسترشيان التي ظهرت سنة 1098م/492هـ⁴، وأسست مركزا لها بإسبانيا سنة 1149م/544هـ.⁵

ونتيجة نشاط تلك المنظّمات والأديرة، بدأت تُروّج فكرة إنشاء جماعات دينية عسكرية في إسبانيا لمحاربة المسلمين خاصة بعد نجاح رجال الدّين في صبغ ذلك الصّراع بصبغة دينية بحتة، ويُعدّ ألفونسو الأوّل ملك أراغون أوّل من عزم على إنشاء جماعة فرسان دينية قبل أن تؤسّس أيّ جماعة مسيحية دينية في المشرق.⁶

¹ - أميركو كاسترو، 2003، إسبانيا في تاريخها (المسيحيون والمسلمون واليهود)، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ص. 224.

² - سعد عبد الله البشري، 1992م/1993م، جماعة الفرسان الدّينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مقال نُشر بمجلة جامعة أمّ القرى، العدد السابع، ص. 187.

³ - أسّسها الزّاهب الفرنسي روبرت حوالي 1098م بهدف العودة إلى التّعاليم البندكتية الأولى، وانتشرت أديرتهم بكثرة في الغرب؛ محمد محمود النشار، 1995 م، تأسيس مملكة البرتغال (السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال 1128 _ 1158 م / 522 - 581 هـ)، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، هامش ص. 101.

⁴ - سعد عبد الله البشري: المرجع السّابق، ص. 188؛ محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، المرجع السّابق، ص. 49، 50.

⁵ - يوسف أشباخ، 2011، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين تر. محمد عبد الله عنان، مصر، ج2، المركز القومي للترجمة، ص. 11.

وعلينا الإشارة إلى أنّ هناك اختلاف في مصدر استلهاهم ملك أراغون الفكرة، إلّا أنّ الظاهر أنّه استلهمها من المسلمين الذين عرفوا نظام المراقبة وحماية الثغور عن طريق جماعات دينية نذرت نفسها للجهاد في سبيل الله والدّفاع عن الإسلام والمسلمين.⁷

وعلى كلّ حال فإنّ ألفونسو الأول حاول تجسيد الفكرة لكنّها لم تكن جمعيات منظّمة، وبعد استيلائه على سرقسطة سنة 1118م/512هـ حاول إنشاء جماعة دينية منظّمة وبنى قلعة مونريال لتكون مركزاً لهم، لكنّ مشروعه فشل لعدم وجود فرسان مؤهلين للقيام بتلك المهمّة.⁸

وبعدها تمكّن من تجسيد الفكرة عن طريق إنشاء فرع للفرسان الداوية بإسبانيا بعد أن تأسست بالمشرق، وقد نجحت أيّما نجاح حيث انضمّ إليها الكونت ريموند برنجار الثالث حاكم برشلونة قبيل وفاته، وأنشأ خلفه ريموند الرابع ديورا لهذه الجماعة في قطلونية، وكوّن هؤلاء جماعة فرسان الداوية ببرشلونة رسمياً في مجلس ديني، ومنحت لهم قلعة مشرفة على (لاردة) سنة 1133م/528هـ.⁹

ويبدو أنّ هذه الجماعة نجحت بشكل كبير في صدّ هجمات المسلمين بدليل انتشار أخبارها في كلّ المنطقة إضافة إلى حصولهم على العديد من الأراضي كمكافأة لجهودهم¹⁰، لذلك منحهم ألفونسو في وصيته ثلث مملكته رغم أنّ الأراغونيين اعترضوا على وصيته فيما بعد، واتّفقوا على منحهم المدن والمناطق التي انتزعوها من المسلمين.¹¹

وعلى كلّ فإنّ نجاح تلك الجماعة جعل ملوك باقي الممالك المسيحية الأخرى تطلب مساعدتهم والتعاون معهم خاصّة قشتالة والبرتغال.¹²

كما بدأت تظهر جماعات دينية أخرى بالمنطقة، نذكر منها: جماعة قلعة رباح المعروفة كذلك باسم :

⁷ - سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص. 189 ؛ أميركو كاسترو: المرجع السابق، ص. 225 - 229 ؛ يوسف

أشباح: المرجع السابق، ج2، ص. 11 - 12.

⁸ - محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 53 ؛ سعد عبد الله

البشري: المرجع السابق، ص. 190 ؛ يوسف أشباح: المرجع السابق، ج2، ص. 13.

⁹ - سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص. 191 ؛ يوسف أشباح: المرجع السابق، ص. 13.

¹⁰ - أميركو كاسترو: المرجع السابق، ص. 229.

¹¹ - سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص. 191.

¹² - يوسف أشباح: المرجع السابق ، ص. 14 ؛

(The Militaryorder of Calatrav)¹³، وجماعة القديس يعقوب التي قامت بموجب مرسوم أصدره البابا إسكندر الثالث في 3 جويلية 1175م، وقد نشأت على القواعد الديرية للقديس أوغسطين، بالإضافة إلى جماعة القديس جوليان التي عرفت فيما بعد باسم جماعة القنطرة¹⁴ « The Militaryorder of Alcantara التي صدر بها هي الأخرى مرسوم بابوي من إسكندر الثالث سنة 1177م، وقامت كفرع لجماعة قلعة رباح في البداية.¹⁵

وقد لعبت هذه الجماعات دورا هاما في الحركات الاستردادية بالمنطقة، وساهمت بشكل فعال في أحداثها السياسية والعسكرية.

3 . ظهور الجماعات الدينية العسكرية في البرتغال :

أما فيما يخص البرتغال موضوع بحثنا فإنها هي الأخرى عرفت هذه الجماعات وسعت إلى طلب عونها في قتال المسلمين.

¹³ - بعد نجاح ألفونسو السابع ملك قشتالة في الاستيلاء على عدة حصون وقلاع إسلامية ومنها قلعة رباح سنة 1147م عهد إلى فرسان الداوية الدفاع عنها، ولكن في سنة 1158م/541هـ هاجم الموحدون القلعة ولم يتمكن فرسان الداوية من الدفاع عنها، فأرسلوا إلى الملك ألفونسو السابع يطلبون مساعدته، وفي عهد ابنه سانتشو، ظهر "دبيجوفلاسكي" Velasquez، وهو أحد الفرسان المتحمسين لقتال المسلمين يشاركه ذلك أسقف دي فيتيرو (Fitero) ويدعى ريموند Raymond اللذان اقترحا عليه حماية القلعة، وقبل الملك ذلك وعُهد بحمايتها لدير (Fitero)، فبدأ ريموند يشجع على قتال المسلمين ووعد من يشارك في ذلك بالمغفرة وأيده يوحنا مطران طليطلة، فنجح في جمع عدد كبير من الفرسان وكان هو رئيسهم، فسار بهم إلى القلعة، وكانوا سببا في حمايتها وصمودها، وبعدها شكل راييموندوفلاسكي من هؤلاء جماعة دينية أطلق عليها اسم "فرسان قلعة رباح"، وبعد وفاة راييموند، اختاروا زعيما منهم وأعلن البابا إسكندر الثالث قبولها رسميا سنة 1164م، وكانت تتبع نظام السسترشيان ؛ انظر :

F. C. Woodhouse , 1987, The Militaryreligiousorders of the middle ages (the hospitallers, the templars, the tentonicknights and others), London, published under the direction of the tract committee, p. 297-300.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الجماعة تعاملت كثيرا مع البرتغال لذلك منحهم ألفونسو هنريكز عدة امتيازات في يابرقوشنترينو قلمرية ؛ انظر : محمد محمود النشار : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 113 ؛

Samuel Astley Dunham , 1832, History of Spain and Portugal, V1, Carey and Lea, Chestnut Street, p. 167 ; Angus Mackay , , 1977, Spain in the middle ages from frontier to empire, (1000-1500), Macmillan, 1st published, p. 32, 33 ; Jonathan Riley Smith , The Oxford history of the crusaders, Oxford University press, p. 179.

²- F. C. Woodhouse, , op. cit, p. 301-305 ; Jean Denis , 2005 Medieval Armies and western Europe, An illustration history, , North Carolina and London, Mc Forland and Company, inc, publishers Jefferson , p. 188.

¹⁵-Jean Denis : op. cit, p. 188 ; Malcom Barber , , 2008, The Militaryorders (History and heritage), published by Ashgate publishing, p. 41.

ويرجع أول ظهور لهذه الجماعات إلى عهد الدونياتيريزا والدة الملك ألفونسو هنريكز التي تعرّضت لضغوط كبيرة عندما تولت إمارة البرتغال بعد وفاة زوجها هنري البورجونيسنة 1112 م ؛ هجومات المسلمين من جهة، والتمردات ضدها داخل البرتغال من جهة ثانية، إضافة إلى ضغوط ألفونسو السابع ملك قشتالة للاعتراف بسيادته على البرتغال .ومع ظهور فرسان الداوية والاسبتارية رأّت هي الأخرى أن تستعين بهم، ويرجع أول دخول لهما في البرتغال إلى سنة 1126م/520هـ عندما قدم جالدين (Galdin) وأرنولد دي روشا (Arnold de Rocha) إلى البرتغال ومعهما فرسان الداوية، فمنحتهم تيريزا بعض الأملاك شمال شنترين وأنشأت لهم مراكز على الحدود مع المسلمين للإقامة بها.¹⁶

أما جماعة الاسبتارية فقد دخلوا البرتغال عن طريق مملكة قشتالة ومنحتهم تيريزا سنة 1128م/522هـ هبات في منطقة ليزا (Leca) الواقعة جنوب شرق قلمرية.¹⁷

ويبدو أنّ ألفونسو هنريكز سار في البداية على نهج والديه في الاستعانة بهذه الجماعات لردّ الخطر عن منطقتهم من طرف المسلمين ومن أجل التفرّغ لمشاكله الأخرى مع ملك قشتالة ألفونسو السابع ، فأقرّ ما منحته والدته للداوية والاسبتارية¹⁸، وشجّعهم على التوطن بها وأكد ذلك باتفاقية معهم سنة 1132م/526هـ¹⁹، كما استعان بهم للحصول على شنترين ولشبونة.

اتّجهت أنظار البرتغال بعدها إلى تشكيل جماعات دينية خاصة بالمنطقة وذلك نظرا للنشاط الكبير الذي عرفته قوات الموحّدين وهجوماتهم المتكرّرة على الممالك المسيحية ومنها البرتغال، فقام الملك

الفونسو هنريكز بتأسيس جماعة دينية عسكرية سُمّيت (Nova Militia) أي الجماعة المحاربة الجديدة والتي رفعت شعار "الحرب من أجل الصليب"، وقد كان لا يُسمح لأفرادها بالزواج، وتميّزوا بلبس عباءة طويلة ذات برنس أسود، ثمّ تغيّر لباسهم فيما بعد²⁰.

¹⁶ - محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 59، 60.

¹⁷ - نفسه ، ص. 60.

¹⁸ - منحت تيريزا للداوية بعض الأملاك في وادي فريرا سنة 1126م وأسكنتهم في قلعة طمار التي أقامتها، وفي سنة 1128م منحتهم قلعة سوري (Soure) وقلعة بومبال (Pombal)، ولمّا تولّى ابنها ترك تلك الامتيازات لهم وزاد عليها، بل وشجّعهم على التوطن بها مثل: السهول المحيطة بقلعة سوري التي كانت هدفا للمسلمين ؛ محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 59، 61 .

Joseph F. O'Callaghan, , 1975, History of Medieval Spain, London, p. 228.

¹⁹ - محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 61.

M. de Mabblès : op. cit, p. 61.

²⁰ - يوسف أشباح: المرجع السابق، ص. 18.

ويُقال أنها كانت تابعة وخاضعة لكبير فرسان قلعة رباح²¹، وقد كان Pedro أخ ألفونسو هنريكز أول أستاذ لهذه الجماعة²²، وبعدها تمكّن فرسان الجماعة المحاربة الجديدة من الاستيلاء على "يابرة" سنة 1166م/562هـ، فعُرفوا باسم "فرسان يابرة" ونجحوا في ذاك بزعامة الفارس المغامر "جيرالدوسيمافور"، ثم تغيّر اسمهم إلى جماعة أفيش « Avis » الدّينية العسكرية وذلك سنة 1211م نسبة إلى القلعة التي منحهم إياها ملك البرتغال في ذلك الوقت ألفونسو الثّاني ووُضعت تحت حماية البابوية بموافقة البابا أنوسنت الثالث سنة 1212م/609هـ.²³

وقد أورد أشباح رواية عن تأسيس ملك البرتغال ألفونسو هنريكز لجماعة دينية أخرى تُدعى: "جناح القديس ميخائيل" « The order of the Wing of St. Michael »، تأسست في سنة 1167م، ويُقال أنها سُمّيت بهذا الاسم لأنّ ألفونسو هنريكز رأى القديس ميخائيل يقود القوات البرتغالية حتّى انتصروا على المسلمين²⁴، بينما رأي آخر يقول أنها سُمّيت كذلك لأنّ ألفونسو هنريكز، وأثناء معركته مع

21- نظرا للتداخل الكبير بين جماعة قلعة رباح وجماعة فرسان يابرة أو الجماعة المحاربة الجديدة « Nova Militia »، نجد أنّ الكثير من الآراء اتّجهت إلى القول بأنّ "فرسان يابرة" التي ظهرت بالبرتغال ما هي إلّا فرع من جماعة قلعة رباح المشتقة من النظام السسترشيان، وكانوا خاضعين لرئيس قلعة رباح رغم وجود مسؤول عنهم، وعندما استطاعت هذه الجماعة الاستيلاء على يابرة سنة 1166م حضر أعضاء من قلعة رباح في نفس السّنة لتأسيس مركز لهم بيابرة، كما أنّ ألفونسو هنريكز منح أملاكاً عديدة في يابرة لقلعة رباح، لذا فإنّ جماعة المحاربين الجدد التي تغيّر اسمها إلى فرسان يابرة قد نشأت في ظلّ الجماعة الأولى، وهما يشكّلان جماعة واحدة، وأنّ فرسان يابرة التي أسّسها فرسان ورهبان برتغاليون ما هي إلّا فرع منها ؛ للمزيد، انظر: محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 115-117 ؛

Ferdinand Denis :histoire et description de tous les peuples , portugal ,Paris, Firmin Didot freresediteurs , p. 11.

22- هناك من يرجع البرتغالي "جو الثّالث بيجاس" كأول رئيس لها، وهو ابن النّيل "إيجارفافيس"، والبعض الآخر يرى أنّ أخ الملك ألفونسو هنريكز « Pedro Alfonso » الأخ غير الشرعي للملك هو من تولّاهما أولاً. انظر: ForriaD'Orban :histoire général de Portugal depuis l'origine des lusitaniens jusqu'à la régence de dom Miguel t.1 , Paris , chez Gauthier frères et c. librairies, p. 105, 106 ، محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 114.

23 -Ferdinand Denis : Op. cit, p. 11 ; F. C. Woodhouse : op. cit, p. 205-206 ; Nicholas Marton , 2013, The MedievalMilitaryorders (1120-1314) , London, Routledge, p. 40 ; Jean Denis : Op. cit, p. 188.

24- لذلك نجد أنّ أشباح شكك في صحتها نظرا للأساطير التي نُسجت حول تأسيسها. انظر: يوسف أشباح: المرجع السابق، ج2، ص. 18.

المسلمين في شنترين، رأى ذراعاً ينقل سيفاً فظن أنه ذراع القديس، ولما نجح في المعركة بأعجوبة، أنشأ جماعة دينية وسماها باسم الملاك ميخائيل.²⁵

ورغم قلة المعلومات حول هذه الجماعة إلا أن هناك من فسّر أسباب ذلك بتوقف نشاطها فيما بعد وإدماجها في إحدى الجماعات الدينية في البرتغال، ولكن دون ذكر اسم الجماعة التي انضمت إليها.²⁶ وعلى كل حال فإن هذه الجماعات لعبت دوراً كبيراً في تطور الأحداث بالبرتغال وفي صدّ هجمات المسلمين، لذلك منحهم ملوك البرتغال امتيازات هامة. فعلى سبيل المثال نذكر:

منح رئيس فرسان يابرة (أفيس « Avis » فيما بعد) منازلًا في يابرة وشنترين سنة 1176م/576هـ، كما منحهم ألفونسو هنريكز أموالاً²⁷ في وصيته التي وضعها سنة 1179م/579هـ من أجل الدفاع عن البرتغال وحمايتها²⁸، كما كانت البرتغال تمنح هذه الجماعة جانباً من الأراضي التي تستولي عليها المملكة تشجيعاً منها على المزيد من الجهد والعطاء.

والظاهر أن البرتغال كانت معاملاتها مع جماعة فرسان يابرة (أفيس) أكثر من الجماعات الأخرى لوجود فرعها بالبرتغال.

وتجدر بنا الإشارة إلى جماعة دينية أخرى ظهرت كذلك بالمنطقة، وكان لها علاقة بالبرتغال، ألا وهي جماعة شانت ياقب (القديس يعقوب) التي نشأت بقتالة في الوقت الذي ازداد فيه الصراع بين ملوك الممالك المسيحية وزيادة قوة المسلمين بزعامة الموحدين، لذا عملت البابوية على إحلال السلام بين تلك الممالك والتشجيع على الوحدة، فاستعد فرسان مملكة ليون لقتال المسلمين، وترعّمهم فارسان هما: بيدروفردينااند « Pedro Fernando » وسويرو رودريجز « Suero Rodrigues »، وفي عهد الملك الليوني فيردينااند الثاني منحهم مدينة قاصرش بعد نجاحهم في أخذها من البرتغاليين عام 1169م، وصاروا يُسمّون «إخوة قاصرش» سنة 1170م/565هـ²⁹، ثم اعترف بهم رئيس أساقفة شانت ياقب

²⁵ -Ferdinand Denis : Op. cit, p. 11 ; Chaumeil De Stella , 1841, Essai sur l'histoire de Portugal depuis la fondation de la monarchie jusqu'à la mort de D. Pedre 4 (1080 – 1834) , Bruxelles, Grégoire Wouters et c. imprimeurs – libraires, p. 119 ;

²⁶ - انظر : F. C. Woodhouse : op. cit, p. 325

²⁷ - قُدّر المبلغ بـ: 10 آلاف (Marvides)، ويقول النشار أنها عملة ذهبية يختلف وزنها في كل عصر، وأنها كانت تُستخدم في كلّ شبه الجزيرة الأيبيرية. انظر: محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 115.

²⁸ - محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 114، 115.

¹ - Chaumeil De Stella : Op. cit, p. 19 ; Forria D'Orban : Op. cit, p. 104 ;

محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 103.

ومنحهم الإقامة في الكنيسة وبعض الأملاك، فصارت هذه الجماعة تقاتل المسلمين وتحمي طريق الحُجَّاج إلى القُدَّيس شانت ياقب، و اعترفت بها البابوية رسميا سنة 1175م/570 هـ .

ونظرا لأهمية دورها في قتال المسلمين حاول كلّ من ملك ليون فرديناند وملك البرتغال ألفونسو هنريكز كسبها إلى جانبه من خلال منحهم الهدايا والامتيازات³⁰، ويبدو أنّ ألفونسو قد أحسّ بأهمية هذه الجماعة وخطورتها، لذلك منحهم قلعة "مونسانتو" واشترط أن يكون قائدها من البرتغال، لذلك اختير "دون سويرورودريك" البرتغالي زعيما لهم بالبرتغال، واتّخذوا من منطقة بلماله³¹ « Palmela » مركزا لهم، ورغم الامتيازات والمنح المهداة إليها من الملك البرتغالي، إلّا أنّ الملاحظ عن نشاطها في البرتغال أنّه كان محدودا جدّا.³²

ومن خلال ما سبق، يمكننا القول أنّ الجماعات الديّنية التي ظهرت في القرن 12م/6هـ بشبه الجزيرة الإيبيرية قد فرضتها ظروف ذلك الوقت من أجل الدّفاع عن الممتلكات والحدود لكلّ مملكة مسيحية مُتّخذة الصّبغة الديّنية لنشاطها، فهذه الجماعات خدمت السّلطة السياسيّة لتلك الممالك وساعدتها في حماية ممتلكاتها والتّوسّع على أراضٍ جديدةٍ، وفي الوقت نفسه خدمت السّلطة الرّوحيّة (الديّنية) وهي البابوية التي رأت في هؤلاء فرصة لخدمة مشروعها الصّليبي وزيادة نفوذها وبسط سيطرتها على شبه الجزيرة الإيبيرية، لذلك كلما ظهرت جماعة دينية تعلن الاعتراف بها رسميا، وهذه الجماعات في حدّ ذاتها استفادت هي الأخرى من ذلك بكسب هدايا وأراضٍ في كل المنطقة نتيجة قتالها للمسلمين، ممّا أكسبها وزنا في شبه الجزيرة الإيبيرية، ونظرا لأهميتها ودورها الفعّال في الحركة الاستردادية، بقيت تنشط بعد القرن 12م/6هـ سواء في البرتغال أو المنطقة ككل .

4 . الدور الاستردادي للجماعات الديّنية العسكريّة في البرتغال بعد وفاة ألفونسو هنريكز

بعد وفاة ملك البرتغال ألفونسو هنريكز الذي اعتُبر بالفعل خادما للبابوية والمشروع الصّليبي لها بالمنطقة، سار بعدها خلفاؤه على النّهج نفسه في الاستعانة بالصّليبيين والجماعات الديّنية³³ ومنحهم

²– Forria D’Orban : Op. cit, p. 105.

³¹– تقع في الضفّة الجنوبيّة لنهر تاجة قبالة لشبونة ولا يفصلها عنها سوى نهر تاجة. انظر: محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبيّة في الأندلس، المرجع السّابق، هامش ص. 107.

³² – M. deMabblès : op. cit, p. 50 ;

محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبيّة في الأندلس، المرجع السّابق، ص. 107.

³³– علينا الإشارة إلى أنّ محاولة كسب الجماعات الديّنية أدّى فيما بعد إلى صراع آخر بين البرتغال وقشتالة حول من يكسب هذه الجماعات إليه، فمثلا في عام 1384م مقدّم جماعة أفيث كان الأمير البرتغالي يوحنا الذي توج ملكا في نفس العام ممّا أدّى إلى غضب ملك قشتالة يوحنا الأوّل (1379-1390م)، وذلك لجمع ملك البرتغال بين سلطة البرتغال

الامتيازات من أجل خدمة مصالحهم والتوسع أكثر بأراضيهم، وقد ذكرنا سابقا كمثال على ذلك ألفونسو الثاني (1211-1223م/608-620هـ) ملك البرتغال الذي منح مدينة (Avis) "أفيس" لفرسان يابرة، فأصبح يُطلق عليهم "فرسان أفيس" نسبة إليها سنة 1211م/614هـ.³⁴

وفي عهد الملك البرتغالي سانشو الثاني (1223 - 1248)³⁵ اعتمد هو الآخر على الجماعات الدينية بشكل لافت للانتباه سواء في توسعته على حساب المسلمين أو تكليفه لتلك الجماعات بحماية الأراضي المتوسع عليها ، فمنح العديد من القلاع لفرسان الداوية والاسبتارية سنة 1232م³⁶ ، كما منح قصر أبي دانس³⁷ لجماعة القديس شانت ياقب³⁸. الأمر الذي شجع تلك الجماعة على زيادة نشاطها فاستولوا على عدة قلاع وحصون مثل : قلعة Elvor الواقعة قرب شلب ، سنة 1239 م ، ومنطقة طبيرة سنة 1242م³⁹.

وفي عهد الملك ألفونسو الثالث (1248 - 1279 م) بلغت البرتغال أقصى اتساع لها واستولت على معظم الجهة الغربية للأندلس وقد كان للجماعات الدينية العسكرية الدور الفعال في ذلك حيث استعان الفونسو بجماعة أفيس البرتغالية وكذلك شانت ياقب وفرسان الداوية والاسبتارية في التوسع على شنتمرية الغرب (فارو)⁴⁰، وألبوفيرة التي منحها لجماعة أفيس سنة 1249 م ، ومنطقة Selir التي توسع عليها جماعة شانت ياقب والعديد من المناطق التي أوصلت حدود البرتغال إلى المحيط سنة 1250 م⁴¹

وسلطة جماعة أفيس فتحوّلت إلى حرب بينهما، وفي الأخير انفصلت هذه الجماعة نهائيا وأصبحت برتغالية حتّى سنة 1578م ؛ انظر:

Jean Denis : Op. cit, p. 188.

³⁴ - ؛ 54 p. cit, op. M. deMabblès ؛ محمد محمود النشار : دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2007، ص. 92، 93.

³⁵ - وهو الملقب بذي الثوب الكهنوتي .: Ferdinand dénis , p 15 op , cit

³⁶ - من بينها نذكر : قلعة Moura و serpa الواقعتان شرق نهر وادي يانة قرب جيان ، تركهما للاسبتارية للدفاع عنهما، محمد محمود النشار : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص . 111 .

³⁷ - استولى عليه والده ألفونسو الثاني في سنة 1217 م بعد حصار دام شهرين، ؛ أمبروسيوهويثي ميراندا، 2004 ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكميز ، الذار البيضاء ، النجاح الجديدة ، ص . 437.

³⁸ - محمد محمود النشار : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص . 111 .

³⁹ - نفسه ، ص . 115 ، 116 .

⁴⁰ - M. deMabblès : op. cit, p.90

⁴¹ - يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص . 216

5 . خاتمة :

ومن خلال ماسبق نخلص إلى أن الجماعات الدينية العسكرية التي اشتهرت في المشرق لم يقتصر ظهورها على تلك المنطقة بل امتد صداها إلى بلاد الأندلس ، فكانت المنطلق والقاعدة الأساسية التي حركت وشجعت الملوك على الاستعانة بهم في حروبهم ضد المسلمين ، والتنافس بينهم في كسبها إلى جانبهم ، لتتطور الأمور فيما بعد إلى التسارع لإنشاء جماعات محلية خاصة بكل مملكة .

فكانت تلك الجماعات العسكرية الدينية من بين الوسائل الهامة التي أدت إلى نجاح البرتغال في حركتها الاستردادية ، وتوسيع نفوذها على المنطقة الغربية، دون أن ننسى طبعاً الدعم البابوي للبرتغال ومعظم الممالك المسيحية في ذلك ، فكان منتصف القرن 13 م نهاية الحكم الإسلامي في البرتغال و كان لتلك الجماعات الدور البارز في تحقيق ذلك التفوق البرتغالي في ظرف وجيز ، فلم يبق بعدها سوى الأهالي المسلمين الذين بقوا تحت الحكم المسيحي في تلك المنطقة الغربية إلى غاية خروجهم النهائي من المنطقة .

قائمة المراجع :المراجع باللغة العربية :

- أمبروسيو هويثي ميراندا، 2004، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحّدية، تر: عبد الواحد أكميز ، الدّار البيضاء، النجاح الجديدة .
- أميركو كاسترو، 2003 ، إسبانيا في تاريخها (المسيحيون والمسلمون واليهود)، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، مصر ، المجلس الأعلى للثقافة .
- سعد عبد الله البشري ، 1992م/1993م ، جماعة الفرسان الدّينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مقال نُشر بمجلة جامعة أمّ القرى، العدد السّابع .
- جوناتان رايلي سميث ، 1989م ، الاسبتارية (فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص 1050م-1310م)، ترجمة: العميد الرّكن صبحي الجابي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر
- محمد محمود النشار، 2003 ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، مصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
- محمد محمود النشار ، 1995 ، تأسيس مملكة البرتغال (السياسة الخارجية لألفونسو هنريز ملك البرتغال 1128 - 1158 م / 522 - 581 هـ) ، مصر ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

- يوسف أشباح، 2011 ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين تر. محمد عبد الله عنان، ج2، القاهرة ، المركز القومي للترجمة .

باللغة الأجنبية :

- Angus Mackay , 1977, Spain in the middle ages from frontier to empire (1000 -1500) , Macmillan , 1st published
- M. de Mablés, 1840, histoire de Portugal d' après la grande histoire de scheffer et continuée jusqu'a nos jours , paris , parent – Désbarres , Editeur
- Chaumeil De Stella , 1841, Essai sur l'histoire de Portugal depuis la fondation de la monarchie jusqu'à la mort de D. Pedre 4 (1080 – 1834) , Bruxelles , Grégoire Wouters et c. imprimeurs – libraires ,
- Ferdinand Denis :histoire et description de tous les peuples , portgal , ,Paris, Firmin Didot frèresediteurs
- ForriaD'Orban , 1987, histoire général de Portugal depuis l'origine des lusitaniens jusqu'à la régence de dom Miguel , t.1 , , Paris , chez Gauthier frères et c. librairies
- F. C. Woodhouse : The Military religious orders of the middle ages (the hospitallers, the templars, the tentonicknights and others), London, publishedunder the direction of the tract committee
- Samuel Astley Dunham , 1832, History of Spain and Portugal, V1, Carey and Lea, Chestnut Street
- Jean Denis , 2005, MedievalArmies and western Europe, An illustration history, , North Carolina and London, Mc Forland and Company, inc, publishers Jefferson
- Joseph F.O'Callaghan , 1975 , History of Medieval spain , London .
- Malcom Barber , 2008, The Militaryorders (History and heritage), published by Ashgatepublishing, V3
- Nicholas Marton , , 2013, The Medieval Military orders (1120-1314), , London, Routledge